

الاستفادة من اخطاء الماضي والحاضر

قبل شهر^(١) أو أكثر بقليل كان يزور الاقليم الشمالي هنا اخوان نقايان من المغرب، حضرا مؤتمر العمال العرب في القاهرة ثم جاءا لتمضية أيام لزيارة هذا الاقليم .

وأجتمعت بهما وتحدثنا وسألني احدهما قائلاً: هل تعتقد ان القومية العربية يمكن ان تنجح دون الاستفادة من اخطاء الماضي والحاضر؟ فاستحسنست سؤاله وأجبت به بأنني لو سئلت عن تعريف للقومية العربية لما وجدت احسن من هذا التعريف (انها هي استفادة العرب من اخطائهم في الماضي والحاضر).

عندما يستفيدون من اخطائهم يستطيعون ان يحققوا بعضاً لأمتهم وان يحققوا مساهمة ايجابية ضخمة في رفع مستوى الانسانية او في اغناء الحضارة الانسانية . ولكن الاستفادة من الاخطاء ليست بالشيء السهل وبالتالي معركة القومية العربية ليست بالسهلة فهي من اقسى المعارك في التاريخ .

الاستفادة من الاخطاء تتطلب فضائل كثيرة وفضائل من النوع العالي، فضائل تجمع المتناقضات او بتعبير آخر ان تجمع الى التواضع ثقة لا حد لها بالنفس . . لكي نستفيد من اخطائنا يجب ان تكون عندنا فضيلة التواضع اي ان نكون بعيدين عن الغرور وعن التكبر والرياء والكذب . ان نحب الصدق لا ان نكون صادقين فحسب . . النظرة الصادقة البسيطة الصافية هذه هي الفضيلة، فضيلة التواضع ومحاسبة النفس بكل صدق وبساطة . يجب ان نملك فضيلة اخرى ايضاً لا تقل عن

(١) كلمة ألقيت في اجتماع لانصار الحزب من العراق .

الأولى هي فضيلة الثقة بالنفس اذ لولا الفضيلة الثانية لربما ادى الاعتراف بالخطأ الى اليأس والى الاستسلام والتخاذل . . نخطىء ونخطىء وليس هناك من امل في اصلاح الخطأ . . فالفضيلة الثانية ان نكون واثقين بأنفسنا ومتفائلين بالحياة مؤمنين بالخير وان كل انسان يستطيع ان يصلح نفسه وكل شعب كذلك يستطيع ان يصلح حاله .

اذكر اني ربطت بين ثقة العربي بنفسه وثقته بأمته في حديث قديم يرجع الى ١٩٤٤ ومنشور في احد الكتيبات بعنوان «الجيل العربي الجديد» ربط بين ثقة الجيل الجديد بنفسه وبأمته . إن من يثق بنفسه، يثق بأمته لأنه جزء منها، فما دام قد استطاع ان يتغلب على ضعفه وان يسيطر على هذا الضعف وينمي فضائله فهو جزء من هذه الأمة، ويمكننا اذن ان نسيطر على ضعفها وان نخرج منتصرين على كل ما فيها من أمراض .

اذكر ايضاً بأنني كررت دائماً بأن طريقنا صعب وأماننا كثير من التجارب المؤلمة وان الشباب هم اجدر من غيرهم بأن يؤمنوا بصعوبة الطريق لا بل ان يحبوا هذه الصعوبة لأنها لخير امتهم وانه لشيء جدير بأن يحملوا عبئه . كل شيء جديد وعظيم القيمة لا بد ان يتطلب الجهد والتضحية . . فإذا كنا جادين في توضيحنا لبعث الامة العربية بعثاً اصيلاً شاملاً لجميع نواحي الحياة وفي سبيل ايصال شعبنا العربي الى مستوى الابداع في الحضارة كي يكون قدوة، اذا كنا جادين في هذا فلا يعقل ان نستعجل او ننفذ صبرنا بسرعة وان نريد النصر رخيصاً سريعاً . . لأننا في نفس الوقت نعلم ان هذه الامة التي تولد من جديد في هذا العصر . . تحتاج الى وقت وتحتاج الى جهد واتعاب وازالة عقبات من الطريق تُمرّن بها خصائصها وفضائلها حتى تصل الى المستوى اللائق، والا نقع في الخطأ الذي وقع فيه السياسيون من قبل بأن يقولوا للشعب شيئاً وأن يضمروا شيئاً آخر . . ان يتظاهروا بالمثل العليا ويعملوا للكسب الشخصي، ان يتباهوا بالالفاظ الضخمة وان يكونوا في أعماق انفسهم ليس لديهم همة ومتعبين . . ولكننا بدأنا منتبهين الى هذا الضلال وحذرين منه عندما قلنا مراراً في بدء حركتنا ان عملنا هو رسالة لا سياسة .

اذن، ايها الاخوان، انتم هذا الجيل العربي الجديد اجدر الناس بأن تروا الامور

رؤية صادقة عميقة تختلف عن النظرة المشوشة السطحية التي ينظرها عامة الناس،
حيث يدعر الآخرون ويتشاءمون .

انتم يجب ان تتفاءلوا وتقدموا . . عندما تعرض في طريقنا عقبة ونصطدم بصدمة
وتحل بنا نكبة . . فلنترك الذين لا يعيشون في صميم النضال نترك لهم التشاؤم
والذعر . . ونحن نعتبر ان القدر هو الذي يرسل مثل هذه العقبات ليزيدنا تنبهاً الى
اخطاء فينا لم نكن منتبهين اليها لكي نصححها، ولكي تأتي نهضتنا سليمة وعميقة كل
العمق ولكي نقود انفسنا الى الجهد والصبر واسترخاى التضحيات في سبيل اهدافنا . .
لأننا اذا لم نتعلم ونربي انفسنا وشعبنا ضمن الصدمات والاطياء فلن نستطيع ان نربي
انفسنا وشعبنا عندما نصل الى شاطئ السلام . . التربية الحقيقية تكون في وقت
الشدة. لذلك لا يجوز للشباب العربي الثوري ان يحزن ويأس عندما تحل بالامة
صدمة او حتى نكبة لأنه ما دام مالكا للفضيلة الاساسية وهي الثقة بالنفس مع الفضيلة
الاساسية الاخرى وهي الصدق في محاسبة النفس، فإنه يرى في الصدمة او النكبة
تحدياً جديداً من القدر له ولأمتة لتعلو فوق نفسها وترتفع الى مرتبة اعلى في الخلق وفي
التفكير والمعنى الانساني .

ولعلكم تذكرون ايضاً بأننا في نظرتنا الى الامور منذ بداية حركتنا تجنبتنا كثيراً
النظرة الراجحة والمنطق الدارج الذي يريد دوماً ان يتنصل من المسؤولية ويلقي التبعة
على عوامل خارجة بعيدة عن الأمة . . وبالرغم من اننا اعرف الناس بمساوىء
الاستعمار ومصالحه وبكل ما جرّه علينا من ظلم وتأخر لم نكن نقبل لأنفسنا كجيل
مناضل ولم نكن نقبل لأمتنا كأمة متحفزة للبعث ان تتواكل وتستريح على هذه النظرة . .
على ظهر الاجانب ومفاسدهم وما أساءوا اليها . اي ان نظرة البعث شقت طريقاً جديداً
في التفكير والشعور، طريق الرجولة والاعتماد على النفس . وسدت منافذ الهرب لكي لا
يهرب العربي من المسؤولية ويتذرع ويتحجج بالعوامل الخارجية وهذا كما تعلمون لم
يضعف نضالنا ضد الاستعمار بل قواه . . هذه النظرة الجديدة لم يكن من نتيجتها تراخ
تجاه الاستعمار وانما كانت حافزاً للنضال . انها هذه النظرة تساعد على شيئين :

١ - على رؤية الاخطاء ومعرفة اخطائنا .

٢ - على رؤية فضائلنا وقوانا .

وعندما نرضى بأن نكون مسؤولين عن مصيرنا فهذا يعني بأننا رأينا قصورنا .
رأينا مواطن الضعف ولكننا صممنا على مقاومتها . . اي وجدنا فينا مواطن القوة للقضاء
على المرض والالم .

بهذه النفسية يجب ان ننظر الى المعركة الجديدة التي فتحت في العراق عندما
أنحرف المسؤولون هناك عن طريق القومية والوحدة وعندما وجد الاستعمار الغربي من
جهة، والشيعوية من جهة اخرى، الفرصة كي يستغلوا الانانيات الشخصية والمصالح
المحلية الحقيرة والانتهازية السياسية التي تتفن الانفصالية، عندما وجد كلا المعسكرين
مصالحته في تشجيع هذه الانتهازية الانفصالية ليؤخروا ويعرقلوا نهضة العرب
التاريخية . . عندما دفع هذا الانحراف وهذه النكسة وما تلاها من فواجع اصبح
جديراً بنا كلنا ان نعتبر ذلك تنبيهاً جديداً من التاريخ . . تنبيهاً لكي نعيد النظر في
طريقنا واسلوبنا ونفتش عن الخطأ لنصلحه واثقين بقدرتنا على رؤية اخطائنا واثقين
بقدرتنا على اصلاحها بعزم وتفاؤل . . اذ لا يمكن ان يمنعا احد من متابعة نهضتنا . .
قوى العالم اجمع لا تستطيع ان تمنعنا من متابعة السير اذا لم يكن الخطأ منا نحن .
فالقوى الخارجية تستغل اخطاءنا . . وعندما نصحح نحن الخطأ نكون قد قطعنا عليها
الطريق واستطعنا ان نستأنف السير .

هذا ما يجدر بالشباب ان يعرفوه او ان يهيئوا انفسهم لدراسته والتحليل والدرس
الجدي لأنه لا يعرف جدياً اين الخطأ وكيفية تفاديه . هذا ما يجدر بكم ان تعرفوه
وتتهيأوا نفسياً لمتابعة هذه المعركة في سبيل ان تنتهي منها لنصر جديد اكبر من
الانتصارات السابقة لأننا نكون قد صححنا في نفوسنا اخطاء ونكون قد أيقظنا في
نفوسنا قوى وفضائل لم نكن نعلم بها من قبل .

حزيران ١٩٥٩